# الفصل الثانى

## الوحى

**الوحى هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفى ، وكل ما أُلقى إلى الغير يقال أنه الوحى إليه . ويقال وحى للشىء المكتوب**[1] .

**والإيحاء أن يسر البعض إلى البعض.**

**وقيل أصل الوحى فى اللغة : أعـلام فى خفاء** - ويكون بالكلام بصوت مجرد عن التركيب أو بإشارة بعض الجوارح ، أو بالكتابة وغيرذلك.

**ويقال الكلمة الالهية التى تلقى إلى أنبياء الله ورسله وحيا** ، وذلك قد يكون برسـول مشاهد ، ترى ذاته ، ويسمع صوته كتبليغ جبـريل كلام الله ، أو باستماع كلام من غير معاينة كسماع كلام الله ، أو بالقاء فى الروع أو بالإلهام[2] .

**وتقول دائرة المعارف الأمريكية : « الوحى هو توصيل الحق من الله إلى الناس ، ويقال كذلك عن الحق الذى وصل إلى الناس وخاصة فى الكتب المقدسة.**

ويتجلى الوحى بإرادة الله وتدبيره فى عقل الإنسان ، وفى صوت الضمير والوجدان.

إن الطبيعة فى كل مكان توحى بسجايا الاله وقدرته ، وطيـبته وحكمته. كذلك فإن تاريخ قبائل الجنس البشرى على هذه الأرض يقدم الأدلة على التدبير الالهى .

لكن أكثر الوحى صراحة لإرادة الله بالنسبـة للإنسان هو ما كان فى الكلمة المكتوبة وفى تسجـيل تراسل إلهى خاص تم فى الماضى إلى القديسـين : والذين تكلموا بالروح القدس ، وهذه الكلمة المكتوبة هى مفتاح كل الوحى الخاص بالطبيعة والمشيئة الإلهية»[3] .

**وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهى المباشر.**

---

(١) لسان العرب - طبعة بيروت ١٩٥٦ - مجلد ١٥ - ص ٢٧٩ -٣٨٢ .

(٢) تاج العروس - طبعة بيروت ١٩٦٦ - جزء ١٠ - ص ٣٨٤ - ٢٨٥

(3) Encyclopedia Americana, 1959,Vol. 23, p. 440.

ويعنى الوحى تجرد الانسان ليكون فى قضبة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق أوالقناة التى يسرى فيها وحى الله من كلام ومشيئة [1].

ونجمل ما سبق فى موضوع الوحى فنجد اننا نستطيع القول بأن:

الوحى فى صورته العامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه ، ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من أوحى إليهم ،كما يكون نتاج هذا التعليم فى الغالب كتابات مقدسة.

ولسوف نبحث فيما يلى حالات الوحى ووسائله .

* * *

(1) Encyclopedia Britannica, 1960.

# الوحى فى العهد القديم

**كان أول الوحى الى البشرهو ما كـان مـن كلام الله إلى آدم وتعليمـه من الوصايا مـا يميز به بين ما ينفعه وما يضره :**

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها ،وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تموت » . « تكوين ٢ : ١٥ -١٧»

ويدعى كتبة الأسفار أن كلام الله إلى آدم وزوجه حـواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القاعدة الأصولية التى ذكرناها سالفا :

«وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجرالجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فأختبأت .

فقال من أعـلمك أنك عريان . هل أكلت من الشجرة التى أوصـيتك أن لا تأكل منها.

فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الاله للمرأة ماهذا الذى فعلت ؟

فقالت المرأة الحية غرتنى فأكلت . . . « تكوين ٣ : ٨ - ١٣ »

**وكان وحى اللـه إلى خلقه عن طريق الرؤيا التى يراها النائم حـتى إذا ما استيقظ من نومـه شعر أن رؤياه قد ملكت عليه كل نفـسه ، واطمأن بها قلبه وعلم أن ذلك وحى من الله .**

فلقد كان هذا هو الحال مع إبراهيم أبى الأنبياء خليل الرحمن:

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى ابرام فى الرؤيا قائلا : لا تخف يا ابرام . أنا ترس لك أجرك كثيرا جدا . فقال ابرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما . .

« تكوين ١٥:١ -٢ »

وكانت الرؤيا هى سبيل الوحى لأغلب الأنبياء :

« فى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان (النبى) قائلا : اذهب وقل لعبدى داود . متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . .هو يبنى بيتا لإسمى. .

فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤية كذلك كلم ناثان داود » .

«صموئيل الثانى٧ : ٤ - ١٧»

« فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان لله أنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه . . فاعطنى الآن حكمة ومعرفة . . . فقال الله لسليمان : من أجل أن هذا كان فى قلبك . . قد أعطيتك حكمة ومعرفة وأعطيك غنى وأموالا . . » . « أخبار الايام الثانى ١ :٧ - ١٢»

**لكن أكثر وسائل الوحى شيوعا هو ما كان من ظهور الملائكة فى صوربشرية ، تخاطب البشر بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله** . فذلك كان الحال مع ابراهيم ولوط ويعقوب ودانيال الذى تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الأنبياء.

**وقد يسمع العبد الصالح أصواتا تناديه فلا يعيها أول لأمر، حتى إذا ما عرفه بخبرها أحد ممن يقرءون الكتاب من قبله ويعرفون طرق الوحى المختلفة لتعليم البشر ، فعندئذ تطمئن نفس ذلك العبد الصالح لهذا الذى يأتيه ويعلم أنه قد صار نبيا يوحى إليه .**

لقد كان هذا هو الحال مع صموئيل الذى كان صبيًا يخدم فى بيت الرب مع الكاهن عالى . فقد حدث بالليل « إذ كان عالى مضطجعا . . وعيناه ابتدأتا تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفئ سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله« أن سمع صموئيل صوتا يناديه باسمه فظنه الكاهن عالى ولذا ذهب إليه . فقال عالى « لم أدع. أرجع اضطجع . فذهب واضطجع » .

وتكرر ذلك مرتين أخريين وآنذاك فهم عالى أنه صوت الوحى ينادى صموئيل فأمره أن يقول حين يسمع النداء « تكلم لأن عبدك سامع » وعندئذ تلقى صموئيل وحيا يقول : هوذا أنا فاعل أمرا فى إسرائيل كل من سمع به تطن أذناه . فى ذلك اليوم أقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته . . من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم .

وكبر صموئيل وكان الرب معه . . وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد اؤتمن صموئيل نبيا للرب - صموئيل الأول ٣ : ١ - ٢٠ » .

وجدير بالذكر أن اللعنة التى حلت بالكاهن عالى وبيته ، كانت بسبب فساد بنيه الذين اغتصبوا أموال بيت الرب ، وزادوا على ذلك أن أغتصبوا نساء إسرائيل وزنوا بهن فى بيت العبادة :

« وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجـمبع إسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجـتماع . فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لأنى اسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب » . «صموئيل الأول ٢ : ٢٢ - ٢٣ » .

**وقد ينظر العبد الصـالح إلى السماء فيرى ظلالامن النور أو النار ، تشد نفسه إليها ، وتستولى على مشاعرها ، وعندئذ يسمع وحى الله** . فذلك كان أول الوحى إلى موسى :

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب .

وظهر له ملاك الرب بلهـيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقـة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحـترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هـذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة .

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال :موسى موسى .

فقال هأنذا . فقال لا تقترب إلى ها هنا. .

ثم قال : أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر » . « خروج ٣ : ١- ٦ » .

ولما كان الإنسان بتركيبه البشرى وما قام فيه من مناديات لا يستطيع رؤية الله فى هذه الحياة الدنيا ، فإنا نستطيع القول بأن ما رآه موسى كان شيئا من مجد الله .

إذ بعد أن تمرس موسى على وحى الله ورأى من الآيات ما رأى ، اشـتاقت نفسه أن ينظر إلى الله ، فجاءه القول الحق :

« لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش ». « خروج ٣٣ : ٢٠ » .

كذلك قد يسمع وحى الله آتيا من خلال السحاب وفى ظلل من الغمام :

« قال موسى لهارون قل لكل جماعة بنى إسرائيل اقتربوا إلى أمام الرب لأنه قد سمع تذمركم . فحدث إذ كان هارون يكلم كل جماعـة بنى إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية . وإذا مجد الرب قد ظهر فى السحاب .

فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى إسرائيل » . «خروج ١٦ : ٩ - ١٢ » .

**وقد يرى العبد الصالح مناظر عجيبة فى السماء تصاحبها عواصف وزوابع ، ثم يجيئه صوت الوحى يعلمه ، كما كان مع إيليا وحزقيل :**

« كان كلام الرب إليه يقول مالك ها هنا يا إيليا . فقال قد غرت غيرة للرب . . فقال أخرج وقف على الجبل. . وإذا. . ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور . . وبعد الريح زلزلة . . وبعد الزلزلة نار . . .

وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع إليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول مالك ها هنا يا إيليا . فقال غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبيائك بحد السيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب اذهب راجعًا فى طريقك إلى دمشق وأدخل وأمسح حزائيل ملكاعلى ارام . وأمسح ياهو بن تمشى ملكا على إسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك - الملوك الأول ١٩ : ٩ - ١٦ » .

« كان فى سنة الثلاثين . . وأنا بين المسبيين عند نهر جابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله . . صار كلام الرب إلى حزقيال . . فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور . وكانت عليه هناك يدك الرب .

فنظر وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار . ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه إنسان . ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة . وأرجلها أرجل قائمة واقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول . وأيدى إنسان تحت أجنحتهاعلى جوانبها الأربعة .ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله . مثل منظر نار ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأيته خررت على وجهى . وسمعت صوت متكلم . .

فقال لى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك . فدخل فىّ روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى .

وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علىَّ هم وآباؤهم عصوا على إلى ذات هذا اليوم . والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم . . وأما أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم . . أنت ساكن بين العقارب . . من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب لأنهم بيت متمرد . .

وأنت يا ابن آدم فاسمع ما أنا مكلمك به لا تكن متمردا كالبيت المتمرد . .

«حزقيال ١ - ٢: ١ - ٨ »

**ونجد الكثير من أسفار العهد القديم قد كتب على أساس أنه كان وحيا نطق به عبد صالح جاءته كلمة الله بطريقه ما** . فذلك ما نجده فى أسفار الأنبياء الكبار مثل أشعياء وأرميا :

« رؤيا أشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم . . اسمعى أيتها السماوات واصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم .

ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علىّ . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم .

ويل لأمة الخاطئة الشعب الثقيل الأثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيل ارتدوا إلى وراء . علام تضربون بعد . تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم . . » . « اشعياء ١ : ١ - ٥ »

« كلام أرميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض بنيامين الذين كانت كلمة الرب إليه .

« كانت كلمة الرب الى قائلا . مثلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب فقلت آه يا سيد الرب أنى لا أعرف أن اتكلم لأنى ولد . فقال الرب لى لا تقل أتى ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به . لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنقذك يقول الرب .

وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعب والممالك لتقطع وتهدم وتهلك وتنقص وتبنى وتغرس » . « أرميا ١ : ١ - ١٠ » .

كذلك كان الحال مع الأنبياء الأثنى عشر الأصاغر وهم : هوشع ، ويوئيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان - وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفينا ، وحجى وزكريا، وملاخى ، إذ أن الأسفار التى تحمل أسماءهم قد جمعت باعتبارها وحى الله إليهم ، انفعلت به نفوسهم حتى فاضت به ألسنتهم :

« قول الرب الذى صار إلى يوئيل بن فثوئيل .

اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض . .

اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر . . « يوئيل ١ : ١ - ٥ »

« أقوال عاموس الذى كان بين الرعاة من تقوع التى رآها عن إسرائيل .

فقال إن الرب يزمجر من صهيون ويعطى صوته من أورشليم فتنوخ مراعى الرعاة ويبس رأس الكرمل . . «عاموس ١ : ١ - ٢ »

« رؤيا عوبديا :

هكذا قال السيد الرب عن أدوم . سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسول بين الأمم. قوموا ولنقم عليها للحرب . . «عوبديا ١ : ١ »

« صار قول الرب إلى يونان ابن امتأى قائلا . قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى . . » . « يونان ١ : ١ - ٢ »

« قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى . .

اسمعوا أيتها الشعوب . جميعكم ، اصغى أيتها الأرض وملؤها وليكن السيد الرب شاهدا عليكم من هيكل قدسه . . « ميخا ١ : ١ - ٢ »

« وحى على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الألقوشى .

الرب إله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتـقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه . . « ناحوم ١ : ١ - ٢ »

« كلمة الرب التى صارت إلى صفنيا بن كوشى . .

نزعا أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب . أنزع الإنسـان والحيوان . انزع طيور السماء وسمك البحر والمعاشر مع الأشرار واقطع الإنسان عن وجه الأرض يقول الرب »

« صفنيا ١ : ١ - ٣ »

« فى السنة الثانية لداريوس الملك . . كانت كلمة الرب عن يد حجى النبى الى زربابل هكذا قال رب الجنود قائلا . هذا الشعب قال أن الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب »

«حجى ١ : ١ - ٢ »

« فى الشهر الثامن فى السنة الثانيـة لداريوس كـانت كلمـة الرب إلى زكريا بن برخيا ابن عدو النبى قائلا . قد غضب الرب غضبا على آبائكم . . « ١ : ١ - ٢ » .

« وحى كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخى . .

أحببتكم قال الرب . وقلتم بم أحببتنا . .

الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده . فإن كنت أنا أبا فأين كرامتى وإن كنت سيدا فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمى وتقولون بم احتقرنا اسمك . .

« ملاخى ١ : ١ ـ ٦ » .

**ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحا متميزة إذا ما حلت بالعبد الصالح أنطقته بوحى الله، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشريه وتعى ما يقول .**

ولذلك قال موسى : « يـا ليت كل شعب الرب كانوا أنبيـاء إذ جعل الرب روحه عليهم . . » . « عدد ١١ : ٢٩ ».

وكان كلام صموئيل النبى الى شاول وهو يعلمه إحدى طرق الوحى :

« عنـد مجيـئك إلـى هنـاك إلى المدينـة أنك تصادف زمرة من الأنبـياء نازلين من المرتفعة . . وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر . .

وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلبا آخر . .

ولما جاءوا إلى هناك إلى جعبة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم » . «صموئيل الاول ١٠ : ٥ ـ ١٠ »

« وهذه هى كلمات داود الأخيرة : وحى داود بين يسى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح اله يعقوب ومرنم اسـرائيل الحلو . روح الرب تكلم بى وكلمته على لسانى قال اله اسرائيل إلى . . إذا اتسلط على الناس بار يتسلط بخـوف الله وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس » . «صموئيل الثانى ٢٣ : ١ - ٤ »

ويحكى حزقيال بدء الوحى اليه فيقول « سمعت المتكلم معى . وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى اسرائيل إلى أمة متمردة . «حزقيال ٢ : ٢ - ٣ »

**وبعد - أن خلاصة القـول فى موضوع الوحى كما تبينه دراسة أسفـار العهد القديم تعلمنا أن « رجال الله » الذين عاشوا على الأرض قبل أن يوجد إسرائيل وذريته ، وكذلك الذين ظهروا فى الشعب الاسرائيلى من أنبياء ومرسلين ، قد تلقوا وحى الله بطرق مختلفة، يمكن اعتبارها مرجعا مقارنا لدراسة حالات الوحى ، كما يمكن تلخيصها فيما يأتى :**

**١ - الوحى بالكلام شبه المباشر بين الله والإنسان ، أو بتعبير أدق بأنه كلام « من وراء حجاب » وقد تعرض لذلك آدم وموسى .**

**٢ - الوحى بالرؤيا المنامية كما حدث لإبراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم .**

**٣ - ظهور المـلائكة فى صور بشـرية تعلم الناس بلغاتهم وحى الله ، وتـلك إحدى** الطرق الشائعة التى تعلم بها ابراهيم ولوط ويعـقوب وايليا ودانيال الذى علمه جبريل .

**٤ - ظهور الملائكة فى طبيعتها النورانية تصاحبها هالات من النور** أو النار وظلل من الغمام ، ومن وراء ذلك يأتى صوت الوحى كما حدث لموسى وايليا وحزقيال .

**٥ - وقد تسـمع أصوات الملائكة من بعد وفى خـفاء وهى تلقى بالوحى الى العـبد الصالح ، كما كان الحال مع صموئيل وغيره .**

**٦ - وقد يحل روح من الله على العبد الصالح وعندئذ قد تتغير حالته الطبيعية ويلقى إليه بالوحى فيعيه ويتكلم به ، كما حدث لشاول وداود وإيليا وحزقيال .**

**٧ - كذلك قد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلاما يشتهر بين الناس بأنه وحى الله . ونجد ذلك ما كـان من أمر الأنبياء :** أشعيـاء وأرميا ويوائيل ، وعاموس ، وبقية الأنبياء الأثنى عشر .

ومن الواضح أن العبد الصالح يمكن أن يأتيه الوحى بطرق مختلفة .

هذا - ومن البديهيات المسلم بها هو أن الوحى أولا وأخيرا يرتبط بمن أوحى إليه ، لذلك كان إيمان الناس بصدق الوحى يجب أن يسبقه إيمانهم بصدق من أوحى إليه ، وثقتهم فى أمانته ، وما أشتهر به من طهر وفضل . و إذا كان ذلك الذى وأوحى إليه قد تعفف عن الكذب على الناس ، فمن باب أولى أنه لابد وأن يتحرزمن الكذب على الله . أن هذا أمر لا يقبل الجدل .

ومن رحمة الله بخلقه أن أصطفى من الناس أنبياءه ورسله ، ممن عطرت سيرتهم ، وطابت ذكراهم ، وكانوا فوق مستوى الشبهات .

* * *

# الوحى فى العهد الجديد

**تقرر أسفار العهد الجديد أن طرق الوحى إلى أنبياء الله كثيرة ومتنوعة ، وأنها جميعًا تهدف إلى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين جعلوا أئمة للبشر :**

« الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ( المسيح ) - عبرانيين ١ : ١ - ٢ »

**وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحى التى أشرنا إليها فى الفصل السابق . وبجانب ذلك فإنا نجد فى أسفار العهد الجديد تفصيلا لحالات الوحى ووسائله ، ومنها :**

**ظهور الملائكة للبشر فى صورة جسمية ، تخاطبهم بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله** كما فعل جبريل مع زكريا حين بشره بأبنه يحيى :

« بينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله . . ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك أبنا وتسميه يوحنا . .

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى شيخ وأمرأتى متقدمة فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا » .

« لوقا ١ : ٨ - ١٩ »

**ويكون الوحى برؤيا يراها العبد الصالح فى نومه ويوقن أنها تعليم من السماء فيتصرف على هذا الأساس** ، وقد حدث ذلك ليوسف النجار خطيب مريم ، الذى لما عرف سر حملها لم يستجب لوساوسه فى أمرها ، ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح أبنها البكر :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا .

ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم أمرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع » . « متى ١ : ١٨ - ٢٥ »

ولقد تعرض المجوس الذين زاروا مريم وابنها ، إلى وحى فى الرؤيا المنامية أبعدهم عن طريق هيرودس الملك الذى كان يطلب قتل الصبى المبارك :

« أتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع أمه مريم . فخروا وسجدوا له ثم إذ أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم » .
« متى ٢ : ١١ - ١٢ »

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية إلى يوسف النجار :

« وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وأمه وأهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر .

فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا قم وخذ الصبى وأمه وأذهب إلى إسرائيل . . ولما سمع أن ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك .

وإذ أوحى إليه فى حلم انصرف إلى نواحي الجليل . وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة . ( متى ٢ : ١٣ - ٢٣ )

**ويكون الوحى بحلول الروح على العبد الصالح ، فينطق بالحق ويقول الصدق . ولقد أعلن المسيح أن نبوءته قد تحققت بروح الله الذى حل عليه ، والذى أيده الله به :**

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . .

فدفع إليه سفر أشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبًا فيه . **روح الرب علىَّ** لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب . . ثم طوى السفر وسلمه للخادم . .

وحل الروح على تلاميذ المسيح ومن معهم فأصابتهم حالة الوحى ، وعندئذ سخر اليهود منهم وظنوهم سكارى ومخبولين - فقام بطرس يوضح الموقف ويقررأن حلول روح الله على الجموع من الناس إنما كان تحقيقًا لنبوءة وردت فى أسفار العهد القديم عما

سيكون فى آخر الزمان - وهو الزمان الذى عاش فيه بطرس ومن معه منذ نحو عشرين قرنا مضت حتى الآن ويقول :

« أمتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطلقوا . . فبهت الجميع وتعجبوا . . وكان آخرون يستهزءون . . فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود . . ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا إلى كلامى . لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون . لأن الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبى . يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلامًا . وعلى عبيدى أيضا وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون. » أعمال الرسل ٢ : ٤ - ١٨ »

**والخلاصة أن حالات الوحى ووسائله فى المسيحية لا تخرج عما رأيناه فى اليهودية .**

**هذا - وإذا كانت أغلب أسفار العهد القديم قد قرر كاتبوها أنها وحى سماوى نطقت به ألسنة الأنبياء - وقد رأينا ذلك سلفا - فأن الأمر يختلف تماما بالنسبة لأسفار العهد الجديد . ذلك أن الأغلبية العظمى من هذه الأسفار تقرر صراحة أو ضمنا ، أنها مجهودات خاصة ، وكتابات شخصية ، أنشأها كاتبوها لبيان قصة المسيح ، ورسالته ونشاط تلاميذه - كما عرفها أولئك الكتاب .**

ويتبين ذلك من دراسة هذه الأسفار على النحو التالى :

## ( أ ) الأناجيل :

### ١ - أنجيل لوقا :

يبدأ لوقا إنجيله ببيان ما دفعه إلى تأليفه فيقول :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شى من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى إليك إيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به» . « لوقا ١ : ١ - ٤ » .

ويتضح من ذلك عدة أمور :

● أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف قصص عن المسيح وبشارته ، وهم قد كتبوا أناجيل من عندهم ، ومن المعلوم أن القرون الأولى من الميلاد قد انتشرت فيها أناجيل كثيرة .

• وأن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية إلى عزيزه ثاوفلس الذى قيل أنه كان ثريًا من الأسكندرية .

• وأن لوقا كتب رسالته إلى ثاوفلس بدافع من نفسه : ( رأيت أنا أيضا ) وأنه عمل فى رسالته بجهده الخاص : ( تتبعت كل شئ من الأول بتدقيق ) .

• ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سوف يكون سفرا مقدسًا يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه : ( لتعرف صحة الكلام ) .

وغنى عن البيان أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه وتربوا بين يديه . ومن المعلوم كذلك أن كتابات الوحى لا بد وأن ينمحى فيها كل أثر للجهود الشخصية للعبد الصالح ، الذى لا يكون عمله سوى التوصيل بأمانة لكلمة السماء .

## ٢ - إنجيل متى :

يقرر الكاتب أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . .

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس » . « متى ١ : ١ - ٨ »

وليس فى هذا الكلام أو فى غيره ما ينص على أنه وحى من الله .

## ٣ - إنجيل مرقس :

وماقيل عن إنجيل متى يقال عن إنجيل مرقس بالنسبة لموضوع الوحى ، إلا أن كاتب أنجيل مرقس قرر أن يسمى كتابه إنجيلا فقال :

« بدء إنجيل يسوع المسيح » . « مرقس ١ : ١ »

## ٤ - إنجيل يوحنا :

يختلف هذا الإنجيل عن الثلاثة الأول بنزعته الفلسفية ، لكنه يقرر أمرا هاما وهو أنه قد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وروى قصته لتصل به إلى النتيجة التى أرادها ، وهى الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله فهو يقول :

« وآيات أخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله » . « يوحنا ٢٠ : ٣٠ - ٣١ »

ويختم الكاتب كتابه فيقول :

« هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم أن شهادته حق .

وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع أن كتبت واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة .« يوحنا ٢١ : ٢٤ - ٢٥ »

ومن البديهيات أن وحى الله إلى خلقه لا يقوم على ظنون وتخمينات ، إنما يقرر الحق المجرد الخالى من القصور أو المبالغات .

## (ب) أعمال الرسل :

لقد أخذ الجزء الأول من رسالة لوقا إلى عزيزه ثاوفلس وعرف باسم « إنجيل لوقا » وأما الجزء الباقى من تلك الرسالة فقد عرف باسم « أعمال الرسل » - إذ أنه يحكى حال تلاميذ المسيح ومن انضم اليهم بعد رفعه إلى السماء . كذلك فإنه يبين المجهودات التى أسهم بها أولئك الدعاة فى نشر المسيحية فى أيامها الأولى .

وفى هذا يقول لوقا كاتب الرسالة ومنشؤها :

« الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم » .

« أعمال الرسل ١ : ١ - ٢ »

## (جـ) رسائل بولس :

**ما كان بولس من تلاميذ المسيح ورسالة ، ومارأى المسيح ولو مرة واحدة فى حياته ، لكنه اشتهر فى زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين . ولقد اتهم كثيرا بالسطو على الكنيسة ثم فجاة أعلن بولس نفسه رسولا للمسيح بعد قصة رواها عن نفسه وشك فيها التلاميذ ، ولهذا رفضوا دخوله فى مجتمعهم ، لولا شفاعة برنابا الرجل الصالح الذى كانوا يثقون فيه .**

**وفى هذا تقول رسالة الأعمال :**

« **أما شاول ( بولس ) فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب** فتقدم إلى رئيس الكهنة . وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى اذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم وفى ذهابه حدث أنه أقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدنى فقال من أنت يا سيد - **فقال الرب أنا يسوع** الذى أنت تضطهده . . فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . .

وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما . وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة . .

**ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا واحضره إلى الرسل** وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » . « أعمال الرسل ٩ - : ١ - - ٢٨ »

ويقرر سفر أعمال الرسل أن تلك الرؤيا النورانية لم يكن لها من شهود سوى بولس ، حتى أن الرجال المسافرين معه لم يروا شيئا مما تحدث عنه :

**« وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا ».**

« أعمال الرسل ٩ - : ٧ »

لكن هنا وقفة لابد منها ، ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا - التى اقتحم بها بولس المسيحية ليجعل نفسه مبشرها الأكبر فيما بعد - فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة . فهو يقول هذه المرة على لسان بولس :

**« أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا** . . قال لى أنا يسوع الناصرى . . **والذين كانوا معى نظروا النور .. لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** » . « أعمال الرسل ٢٢ : ٦ - ٩ »

**فعلى حسب الرواية الأولى نجد أن المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور ، وأما حسب الرواية الثانية فإنهم نظروا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت !**

**وكذلك ما رأى بولس أحدا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب أخا المسيح وذلك بعد مدة تزيد عن الثلاث سنوات كان قد بدأ فيها الدعوة إلى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ أو تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله** . وفى هذا يقول بولس عن نفسه :

« لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته . أن يعلن ابنه فىَّ لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضا إلى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما . ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب .

والذى أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أنى لست أكذب فيه .

وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكيـة ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح » . «غلاطية ١:١٥-٢٢ »

ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد عن أربعة عشر عاماحتى حدث ما اضطره أن يعود الى أورشليم ليعرض على كبار التلاميذ «المعتبرين » التعاليم التى بشر بها وليتأكد منهم أن ما أشاعه فى **الدعوة كان خاليا من الأباطيل** . ويروى بولس أنهم وافقوه على التبشير بين الأمم غير اليهودية :

« ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا الى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا. وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قدسـعيت باطلا . . فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىَّ بشىء بل بالعكس إذ رأوا أنى اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان . .

فإذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرين أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان . غـير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله » . «غلاطية ٢ : ١ - ١٠ »

**ولقد حرص بولس دائما على أن يضع نفسه بين أفضل رسل المسيح ، وكان يرى أنه يستطيع التصدر فى الدعوة المسيحية وحيدًا ، دون ما حاجة إلى معاونة أو توجيه** . فهو يقول فى رسائله :

« ألست أنا رسولا . ألست أنا حرا . أما رأيت يسوع المسيح ربنا » .

« (١) كورنثوس ٩ : ١ » .

« فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ». «(١) كورنثوس : ٤ : ١ »

« ليتكم تحتملون غباوتى قليلا . بل أنتم محتملى . . أنى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل . وإن كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم ». « (٢) كورنثوس ١١ : ١ - ٦ »

« استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل » . « (١) تسالونيكى ٢ : ٤ »

« إنى أقول لكم أيها الأمم بما أنى رسول للأمم أمجد خدمتى » . « روميه ١١ : ١٣ »

« قد جاهدت الجـهاد الحسن أكملت السعى حفظت الإيمان . وأخـيرا قد وضع لى إكليل البر». « (٢) تيموثاوس ٤ : ٧ - ٨ » .

**وقرر بولس فى رسائله أن تعاليمه فى المسيحية هى شىء يختص به وينفرد بإعلانه :**

« وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته . بل بإعلان يسوع المسيح » . « غلاطيه ١ : ١١ - ١٢ » .

ولقد مر بنا منذ قليل قوله : : « لم استشـر لحما ودمًا . . . ولا صعدت إلى الرسل الذين قبلى » .

**وسار بولس فى الدعوة إلى المسيحية وفق مبدأ اختطه لنفسه ، وهو أن يكسب أكبر** عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة الجديدة ، وإيمانهم بها إيمانا خاليا من شوائب عقائدهم السابقة .

ولقد نتج عن ذلك أن دخل كثيرون فى المسيحية على يد بولس بأفكارهم وعقائدهم القديمة ، وأغلبها عقائد وثنية . ذلك أن ما كان يطمع فيه بولس هو أن ينشىء « كمنولث مسيحى » يقوم على أفراد وطوائف شتى يكفى ألا يربطها سوى اسم المسيح والصليب .

ويرى الباحثون أن فكرة الكومنولث المسيحى قد تأثر بها بولس من الأحوال السياسية والأفكار الفلسفية التى كانت سائدة آنذاك فى العالم الرومانى الوثنى . وفى هذا يقول تشالز دود :

« لقد أوضحنا سلفا أن فكرة الكمنولث العالمى كانت شائعة فى العالم الوثنى وكانت روما فى تأثرها بالمثل العالية للرواقيين - الذين قدموا فى أيام بولس رئيسًا لوزراء الأمبراطورية ، وفى القرن التالى له اعتلى أحدهم عرش الأمبراطورية ، - فحاول تأسيس ذلك الكمنولث - ولقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الأفكار [1] »

**ومن أجل ذلك لم يتحرز بولس عن استخدام كل الوسائل لكسب الأتباع :**

« اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين ، فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس . لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء - صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قومًا . وهذا أنا أفعله لأجل الأنجيل لأكون شريكًا فى» . « (١) كورنثوس ٩ : ١٩ - ٢٣ »

**ولم يكن هناك حرج من الكذب فى الدعوة طالما قد عرف الناس اسم الله .**

« إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ » . « رومیه ٣ : ٧ »

**أما برنابا الذى قدم بولس للتلاميذ فقد كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القدس ، وكان رسولا مفوضا من التلاميذ إلى مختلف المدن وكنائسها ليبشر بتعاليم المسيح . وكان يدعو بولس لمرافقته فى رحلاته التبشيرية . وقد استمرت جهود برنابا مخلصة للدعوة المسيحية طيلة حياته :**

---

(1) C.H. Dodd : The meaning of paul For Today,

F.B , London , 1964 , P. 49

« ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ هو لاوى قبرسى الجنس . إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل ».

« اعمال الرسل ٤ : ٣٦ - ٣٧ »

« سمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب .

**لأنه كان رجلا صالحًا وممتلئا من الروح القدس والإيمان** فانضم إلى الرب جمع غفير .

ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ( بولس ) ولما وجده جاء به إلى إنطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا . « أعمال الرسل ١١ : ٢٢ - ٢٦ »

**لكن الوفاق بين برنابا وبولس لم يلبث أن انفض ، وحدثت بينهما مشاجرة لعدة أسباب منها تعصب بولس واحتكاره الدعوة المسيحية ، فذهب كل منهما لحال سبيله :**

« ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

**فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر.** « أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ - ٣٩ » .

**ولم تكن آراء بولس ومعتقداته مخالفة لبرنابا فقط ، بل إنها كانت موضع مؤاخذة من تلاميذ المسيح ورسله** . فقد شاع عن بولس أنه يحقر الناموس ويدعو إلى إبطال العمل به . وقد كان هذا سببا فى تذمر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، وهم الذين تعلموا أن المسيح قد عظم الناموس ودعا دائما إلى التمسك به :

« ولما وصلنا إلى أورشليم قبلنا الأخوة بفرح . وفى الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ . . وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا هم جميعا غيورون للناموس . وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد . فإذا ماذا يكون لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت فافعل هذا الذى نقول لك . عندنا أربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شئ مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضا حافظا للناموس .

«حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم » . « أعمال الرسل ٢١ : ١٧ - ٢٦ »

ومهما كان من تظاهر بولس بمجاملة الناموس ، فان هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئا وهو أن بولس عمل على ابطال الناموس وأحكامه ، مخالفا بذلك تعاليم المسيح الذى قال:

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبيـاء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السـماء والأرض لا يزول حرف واحـد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

**إن رسائل بولس لهى خير شاهد على موقفه من الناموس وتعاليمه ، فهو يقول :**

« أيها الغلاطيون الأغبيـاء . . أريد أن أتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان . أهكذا أنتم أغبياء .

جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به .

ولكن ان ليس أحد يتبرر بالنامـوس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها . .

قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نـتبرر بالإيمان ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب « غلاطية ٣ : ١ -٢٥ »

« أنا بولس أقول لكم أنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا .

قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة .

« غلاطية ٥ : ٢ - ٤ »

« إنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئا » . « عبرانيين ٧ - : ١٨ - ١٩ »

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » . « عبرانيين ٨ : ١٣ »

**وكذلك تصارع بولس مع بطرس - شيخ التلاميـذ - واتهمه بالرياء ، ومخالفة إنجيل المسيح :**

« لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجـهة لأنه كان ملوما . لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان . ورأى معه باقى اليهود أيضا حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم . ولكن لما رأيت

أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلما تلزم الأمم أن يتهودوا » . « غلاطية ٢ : ١١ - ١٤ »

**ولو كان بولس من تلاميذ المسيح ، أو لو كان هناك إنجيل مكتوب فى أيام بولس يقرأ منه ، لما كان هذا موقفه من بطرس** الذى قال له المسيح :

« أنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات » .

« متى ١٦ : ١٨ - ١٩ ».

لكن الذى حدث هو أن ما ربطه بطرس على الأرض حله بولس على الأرض أيضا .

ذلك بعض ما كان من أمر بولس وتعاليمه التى أوجدها فى المسيحية وكان من وراء ذلك ما كان .

**هذا - ولننظر الآن فى رسائل بولس لنرى كيف كتبت ، وحقيقة أمرها من ناحية الوحى :**

**١ - لقد كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى شكلها العام ، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتاكيد على أنه رسول للمسيح ، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات ، وأخيرا يختمها بالحديث عن الأشواق والقبلات إلى النساء والرجال على السواء :**

« بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله . . إلى جميع الموجودين فى رومية احباء الله مدعويين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح . « رومية ١ : ١ - ٧ »

« أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شئ احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا إيضا .

سلموا على ابينتوس حبيبى . . سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا . سلموا على اندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى الذين هما مشهوران بين الرسل . .

سلموا على امبلياس حبيبى فى الرب . .

سلموا على هيروديون نسيبى . .

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب . .

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرًا فى الرب . .

سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى أمه أمى . .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة . .

يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى ولوكيوس وياسون وسوسيباترس انسبائى .

« رمية ١٦ : ١ - ٢١ »

« بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله . . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » . «(١) كورنثوس ١ : ١ - ٣ »

« يسلم عليكم الأخوة أجمعون .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة . « (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ »

« أخيرا أيها الأخوة أفرحوا . . سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة .

« (٢) كورنثوس ١٣ : ١١ - ١٢ »

سلموا على الأخوة جميعا بقبلة مقدسة . « (١) تسالونيكى ٥ : ٢٦»

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله . . إلى تيموثاوس الابن الصريح فى الإيمان نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا . « (١) تيموثاوس ١ : ١ - ٢ »

سلم على فرسكا واكيلا وبيت اتيسيفورس . . يسلم عليك افبولس .

« (٢) تيموثاوس ٤ : ١٩ - ٢١ »

« بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا وإلى ابفية المحبوبة » . « فليمون ١ : ١ - ٢ »

**٢ - وكانت كتابات بولس رسائل شخصية بما احتوته من مطالب وشكاوى وأمور شخصية بحتة :**

« بادر أن تجئ سريعًا لأن ديماس قد تركنى . . لوقا وحده معى . خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة .

الدواء الذى تركته فى تراوس عند كاربس أحضره متى جئت . .

أسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة . . فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم أقوالنا جدا . بادر أن تجئ قبل الشتاء . « (٢) تيماثاوس ٤ : ٩ - ٢١ »

« حينما أرسل إليك ارتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتى إلى نيكوبوليس لأنى عزمت أن اشتى هناك » . « تيطس ٣ : ١٢ »

« أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك عالما أنك تفعل أيضا أكثر مما أقول ومع هذا أعدد لى أيضا منزلا لأنى أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم » . « فليمون ١ : ٢١ - ٢٢ »

**٣ - كذلك كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى مضمونها إذ اعترف فيها صراحة بأنه كتبها من نفسه ، وأبرز فيها آراءه واجتهاداته الشخصية التى قد تتفق وتعاليم المسيح أو لا تتفق :**

« اما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرة . . وأما الباقون **فأقول لهم أنا لا الرب** إن كان أخ له أمرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها . . وأما العذارى **فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنى أعطى رأيا** . .

المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ولكنها أكثر غبطة أن لبثت هكذا بحسب رأيى . . **وأظن أنى أنا أيضا عندى روح الله** » . «(١) كورنثوس ٧ : ١ - ٤٠ »

« **لست أقول على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين مختبرا إخلاص محبتكم .. أعطى رايا فى هذا أيضا لأن هذا ينفعكم** » . « (٢) كورنثوس ٨ : ٨ - ١٠ »

« من جهة الخدمة للقديسين هو فضول منى أن أكتب إليكم » . « (٢) كورنثوس ٩ : ١ »

« هذا أكتبه إليك راجيًا أن آتى إليك عن قريب » . « (١) تيموثاوس ٣ : ١٤ »

## ( د ) رسائل التلاميذ :

لا تختلف كثيرا رسائل التلاميذ عن رسائل بولس إلا فى وضوح هدف كتبة تلك الرسائل وبيان تعاليمهم التى كانت مواعظ شخصية .

ففى رسالة بطرس الأولى تجدها تبدأ :

« بطرس رسول يسوع المسيح إلى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية . . بمقتضى الآب . . لتكثر لكم النعمة والسلام .

**وتنتهى الرسالة :**

( بيد سلوانس الأخ الأمين كما أظن كتبت إليكم بكلمات قليلة واعظا . .
سلمو بعضكم على بعض بقبلة المحبة »

كذلك كانت رسالة يوحنا الثالثة تمثل رسالة شخصية إلى:

« غايس الحبيب الذى أنا أحبه بالحق ».

أيها الحبيب فى كل شئ أروم أن تكون ناجحا وصحيحًا كما أن نفسك ناجحة . .

أيهـا الحبيب أن تفعـل بالأمانـة كل ما تصنعـه إلى الأخـــوة وإلى الغرباء . .

أيها الحبيب لا تتمثل بالشر . .

كان لى كثير لأحبـه لكننى لست أريد أن أكتب إليك بحبر وقلم . .ولكننى أرجو أن أراك عن قريب . .

فنتكلم فما لفم . سلام لك يسلم عليك الأحباء .

سلم على الأحباء بأسمائهم ».

**والآن نستطيع القول بأن حالات الوحى ووسائله فى أسفار العهد الجديد لم تخرج عن نطاق ما سبق بيانه فى أسفار العهد القديم .**

**كذلك فإن أسفار العهد الجديد قد كتب أغلبهـا بالجهود الشخصية لأصحابها لتحكى ما كان من أمر المسيح ورسالته فى صدرها الأول**

* * *

# الوحى فى القرآن الكريم

**ينبئنا القرآن الكريم بالكثير من أخبار الوحى ووسائله مع الأنبياء السابقين فنعلم الآتى:**

**قد يكون الوحى بالرؤيا المنامية ، يراها العبد الصالح ، ويوقن أنها وحى الله ، وعندئذ يتبع ما أوحى إليه ويسير على هديه .**

ولقد كان ذلك هو الحال مع إبراهيم حين ابتلاه الله بذبح ولده الوحيد الذى لم يرزق به إلا فى شيخوخته . وقام إبراهيم بعزم المؤمنين ينفذ الأمر رغم ما كان يعانيه من صراعات وآلام . ولكن رحمة الله تداركت الوالد الصادق والوليد الصابر ، وصرفت عنهما ذلك الكرب العظيم :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) ﴾ . ( الصافات : ١٠١ - ١٠٦ )

**ويكون الوحى بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحى الله وتعليمه إلى المصطفين من خلقه وتخاطبهم بلغاتهم** . وقد تعرض لذلك إبراهيم حين جاءته البشرى بولده اسحق من زوجه العاقر سارة .

وحدث ذلك مع لوط حين جاءه النذير بإهلاك قومه - وقد رأينا ذلك سلفا .

**كذلك يكون الوحى بسماع أصوات الملائكة وهى تلقى وحى الله إلى العبيد الصالحين** مثل ما كان من أمر زكريا ، ومريم ، حين جاءتهما البشرى بوليد منتظر :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) ﴾ . ( آل عمران : ٣٨ - ٣٩ )

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾ . ( آل عمران : ٤٥ )

وتلقى موسى وحى الله فى صور شتى . فقد كان أول الوحى إليه نداء إلهى ، أحس موسى أنه صادر من الشجرة المتلألئة المباركة ، وأيقن أنه كلام الله :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) ﴾
( القصص : ٢٩ - ٣٠ )

ويبين القرآن الكريم فى وضوح طرق تلقى أعظم الوحى - الا وهو كلام الله - فيقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ﴾ . ( الشورى : ٥١ )

والمراد من الوحى فى قوله تعالى : ﴿ أن يكلمه الله الا وحيا ﴾ هو الإلهام حيث تفرض على العبد الصالح حالة لا دخل له فى تحديد كل ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، ولكنها حالة « فيض إلهى » يتعرض لها حتى إذا ما فارقته كان قد وعى تمامًا ما ألهم به .

ومن ذلك ما حدث لأم موسى فيما حكاه الله بقوله :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ . ( القصص : ٧ )

أما الحالة الثانية فهى الكلام « ﴿ من وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ . كما حدث لموسى الذى عرف أنه كليم الله :﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾ .( النساء : ١٦٤ )

ولا يمكن التصور ولو للحظة واحدة أن الحديث عن كلام الله هنا يمكن أن يعطى مفهومًا لحالة يتم فيها « عمل ميكانيكى » ينتج عنه إحداث صوت أو نحوه - ذلك أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ . ( الشورى : ١١ )

وقد شرح الغزالى ذلك بقوله : « وسماع النبى من الله يكون بغير واسطة . . ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق الله علمًا ضروريا يدرك به الرسول

ثلاثة أمور : أولها - أن المتكلم هو الله تعالى ، وثانيها : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، وثالثها : مراد الله من كلامه عز شأنه والقدرة الألهية الأزلية لا تقصر عن ذلك » [1] .

أما الحالة الثالثة فإنها تكون عن طريق الملك الذى يأتى العبد الصالح رسولا من عند الله فينقل إليه كلام الله محدد المعالم ميسر البيان وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ . ( الشورى : ٥١ )

والقرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل على رسوله ، وأمر بتبليغه إلى الناس جميعًا :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ . ( الاعراف : ١٥٨ )

ولقد أمر الرسول أن يبين للناس كل ما يتعلق بالقرآن حتى يكون دخولهم فى دين الله عن بصيرة واقتناع يقوم على المنطق والبرهان :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ . ( النحل : ٤٤ )

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ .. ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ ( النساء : ٥٩ )

وكان أول ما نزل من القرآن دعوة صريحة إلى التعليم ، وتكريمًا للعلم ، وتقريرا لحقيقة علمية ترتبط بخلق الإنسان الذى يجب أن يعرف مم كانت نشأته :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ . ( العلق ١ - ٥ )

ولقد عرفت هذه السور بأسم : سورة « العلق » .

وعن طريق هذا التعليم الإلهى عرف أهل الصحراء منذ نحو أربعة عشر قرنا مضت - وهم على حالهم ذاك من البداوة والتخلف ، ودون معرفة بطرق العلم الحديث وأدواته من ميكروسكوب وغيره - أن بذرة الإنسان الأولى إنما هى كائن حى يسعى ، وإن كان لا يرى بالعين المجردة .

---

(١) الوحى إلى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى ص ٨٣ ، ٨٤ .

وبإشراق هذا الروح المضئ على المسلمين الأوئل ، تفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه ، وانطلقوا فى طريق العلم يبحثون عن الحق والخير ، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبى الأمىّ الذى جاءه العلم وحيا من عند الله .

وكانوا لذلك يسألونه ، وينتظر الرسول خبر السماء ، حتى إذا جاءه علمه ما يقول :

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾ . ( البقرة : ٢١٥ )

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ . ( البقرة : ٢٢٢ )

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾ .( الاعراف : ١٨٧ )

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾ .

( الاسراء : ٨٥ )

ولقد حدَّث ابن أبى مليكة قال : إن عائشة زوج النبى ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه » .

وما كان أمر الوحى ليمضى دون سؤال ولو من بعض المسلمين الأوئل الذين فاتهم نصيب من مشاهدة إحدى حالاته ، وهؤلاء أجابهم الرسول ﷺ وعلمهم ما كان من أمره .

كذلك تكلم الصحابة فى أمر الوحى وشهدوا بما رأته أعينهم من حالات ، وما سمعته آذانهم من أصوات تصاحب نزول الوحى كأنها دوى النحل أو صلصلة الجرس .

**فلقد سأل الحارث بن هشام الرسول ﷺ فقال : « يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ . فقال الرسول ﷺ : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ ، فيفصم عنى وقد وعيت ما قال . وأحيانا يتمثل لى رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » .**

**وقالت عائشة : « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .**

ثم حبب إليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه . . حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال أقرأ . قال ما أنا بقارئ . قال ( الرسول ) فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال أقرأ . قلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال أقرأ قلت ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى .

فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ ﴾ فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : . . زملونى . . زملونى . . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر :

لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ». (١) .

**إن التجارب الإنسانية تبين أن الأحداث الهامة فى حياة الأفراد والأمم تلازمها دائما الشدة والجد .. وهى لذلك تستقر فى باطن العقول ، وتنطبع فى أعماق النفوس ، وتستولى على المشاعر والوجدان ، وتحكم سلوك الناس أزمانا طويلة .**

**ولا شك أن الوحى من أخطر ما عرفته البشرية من أحداث فرادى وجماعات ، إذ أنه شئ يتعلق بحياتهم الحاضرة ومصيرهم الأبدى .**

**وما كان الوحى لينزل على رسل الله وهم فى لهو وسرور وعنه غافلون ، لا يعبأون به ولا يدرون من أمره شيئا .**

**لكن تجربة الوحى معهم كانت تلازمها دائما شدة وتنبيه خاص يهيئ السبيل لطبع آياته فى عقولهم ، ونقش تعاليمه فى أفئدتهم .**

**ولقد كان هذا هو حال موسى الذى كان يغطى وجهه وتتغير هيئته فزعا من خطورة الموقف .**

ففى أول وحى تلقاه موسى - كما تذكر اسفاره :

غطى موسى وجهه لأنه خاف - خروج ٣ : ٦ » .

« وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . **فنظر هارون وجميع بنى إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع فخافو أن يقتربوا إليه ..**

---

(١) صحيح البخارى - الجزء الأول .

ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا - « خروج ٣٤ : ٢٠ - ٣٣ »

وتتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : « **كان المنظر هكذا مخيفًا حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد** » . « عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

**ولقد كانت تجربة الوحى شديدة على الرسول كحالة غير عادية تفرض عليه، فيعانى من شدتها ما يعانى . وفى هذا قال عبادة ابن الصامت :**

**« كان النبى إذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه »**

**وقال زيد بن ثابت - كاتب رسول الله : « أنزل ( الوحى ) على رسول الله وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى »**[1] .

**وقال أبو أروى الدوسى : رأيت الوحى ينزل على النبى وأنه على راحلته ، فترغو ، وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنقصم فربما بركت وربما قامت موتدة يديها ، حتى يسرَّ عنه من ثقل الوحى ، وأنه ليتحدر منه مثل الجمان »**[2] .

**ولم تكن شدة الوحى أمرا تفرد به موسى ومحمد دون غيرهما من أنبياء الله ، إنما كانت ظاهرة مشتركة خبروها جميعا ، وإن اختلفت مقادير شدتها ووقعها .**

ويزيدنا القرآن توضيحًا لما حدث لموسى فى أول وحى تلقاه ، فنعلم أنه كان يعانى من ضيق صدره لهول ما تعرض له كيانه البشرى فى تجربة ذلك الاتصال الروحى العالى . وبعد أن خفت عليه شدة التجربة ، وبدأ يملك زمام نفسه - انطلق لسانه بالدعاء إلى الله أن يشرح له صدره حتى يهون عليه أمر الوحى ، ويطيقه دون إجهاد :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ . ( طه : ٢٥ - ٢٦)

ولقد منَّ الله على رسول الإسلام إذ شرح له صدره ، ومكنه بذلك أن يطيق ثقل الوحى ويتحمل الضيق والشدة التى تلازم نزوله ، فقال :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ . (الشرح : ١ )

**وبين موسى ومحمد نجد مصابيح كثير من الأنبياء عرفت الشدة عند حدوث الوحى ونزول الروح الملائكى من السماء وصمدت لتلك الحال .**

---

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) الطبقات الكبرى ابن سعد - بيروت ١٩٦٠ - الجزء الأول - ص ١٩٧ .

ولقد رأينا سابقا كيف تلقى إيليا وحى السماء وسط جو مفزع حدثت فيه « ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور . . وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار . . وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه » .

« الملوك الأول ١٩ : ١١ - ١٣ »

**ورأينا كيف كانت شدة الوحى مع اشعياء ، وكيف عامله الملاك بعنف لدرجة أنه كوى شفتيه بالجمر الملتهب ، حتى يهيئه لتلقى الوحى وحمل الرسالة إلى شعبه :**

« طار إلى واحد من السرافيم ( الملائكة ) وبيده جمرة قد أخذها بملقط ومس بها فمى وقال إن هذا مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك .

ثم سمعت صوتا قائلا من أرسل ومن يذهب من أجلنا . فقلت هانذا أرسلنى . . فقال أذهب وقل لهذا الشعب » . « أشعيا ٦ : ٦ - ٩ »

وكذلك كان الوحى شديدًا مع حزقيال الذى يصف ذلك ويقول :

« **حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم** مبارك مجد الرب من مكانه وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم . فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة على .

فجئت إلى المسبيين . . وحيث سكنوا **هناك سكنت سبعة أيام متحيرا فى وسطهم** .

«حزقيال ٣ : ١٢ - ١٥ » .

**ولم تكم معجزات المسيح تجرى على يديه فى أى وقت شاء ، ولكنها حدثت كما أرادها الله توقيتا وكيفية ، وهيأ لها المسيح بما أمده من روح وقوة . وحين كان يفتقد المسيح ذلك المدد الألهى فانه كان يعجز تماما عن فعل المعجزات حتى ولووقف فى مجال التحدى أمام اعدائه والمستهزئين من اليهود :**

« كانوا يعثرون به : فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته .

ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة ( معجزة ) واحدة » . « مرقس ٦ : ٣ - ٥ »

« خرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية » .

« مرقص ٨ : ١١ - ١٢ »

**ولكن حين يستقبل المسيح ذلك الفيض الألهى ، ويهيا بذلك لصنع المعجزة فإنها حين تحدث تصاحبها معاناة نتيجة لما يفقده المسيح من طاقة يحسها ويشغل نفسه بها :**

« وأمرأة تنزف دم منذ أثنتى عشرة سنة . . لما سمعت بيسوع جاءت فى الجمع من ورائه ومست ثوبه . . فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها أنها قد برئت من الداء .

فللوقت التفت يسوع بين الجمع شاعرا فى نفسه بالقوة التى خرجت منه وقال من لمس ثيابى :

فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسنى وكان ينظر حوله ليرى التى فعلت هذا.

وأما المرأة فجاءت وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله «مرقس ٥ : ٢٥-٣٣»

ولقد كان جبريل ينزل بالقرآن ، يوحى به إلى الرسول ويقرؤه عليه آيات مفصلات . وكذلك كان ينزل جبريل بغير القرآن ليعلم الرسول أمورا تختص به وبدعوته ، ولقد كان أكثر نزوله فى رمضان حين كان يدارس الرسول القرآن .

قال ابن عباس : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة »(١) .

**ولقد شاهد المسلمون الأوائل صورا كثيرة من هذا التعليم السماوى** ،حدثت إحداها حين كان الرسول فى جمع من صحابته وإذا بجبريل قد أقبل على مجلسهم متمثلا رجلا شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يبدو عليه آثار السفر . وقد كان فى هيئة بشرية ترتاح لها النفوس وتطمئن لها القلوب ، وبدأ جبريل تعليمه بأسلوب المناقشة التى تقوم على طرح السؤال على الرسول ، وتلقى الجواب منه ، ثم التعليق عليه . وبذلك يتشوق السامعون لمعرفة الإجابات التى شغلتهم أسئلتها ، فتستقر المعرفة فى ذاكرتهم . قال أبو هريرة :

« كان النبى ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه جبر يل فقال :

ما الإيمان ؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال صدقت- قال : ما الإسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضام قال صدقت .

قال : ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال صدقت .

قال : متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . وسأخبرك عن أشراطها. ثم أدبر . فقال ( النبى ﷺ ) ردوه علىَّ . فلم يروا شيئا .

فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم » (٢) .

---

(١) صحيح البخارى : الجزء الأول .

(٢) صحيح البخارى ومسلم : الجزء الأول .

ومن هذا الوحى وأمثاله علم الرسول المؤمنين تفاصيل الدين وبين لهم حدود الشريعة، وضرب لهم المثل فى القول والفعل ، واستن بذلك سننا وجب على المسلمين اتباعها والسير على هداها .

وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نفهم قول الله :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . ( الحشر : ٧ )

**ويستطيع الإنسان أن يجمع ما يمكن جمعه من الأسفار والكتب المقدسة ثم ينظر فيها جميعًا ، فلن يجد كتابا مثل « القرآن » يعلم قارئيه ويقنعهم بمختلف الأدلة والبراهين - إنه كلام الله الذى نزل على رسوله وحيا ، وهو آيات الله البينات التى تلاها النبى العربى على مسامع العالمين :**

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) ﴾ . ( النساء : ١٦٣ - ١٦٦ )

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ .( الكهف : ١١٠ )

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ . ( الرعد : ٣٠ )

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) ﴾ .( الأنبياء : ٤٥ )

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) ﴾ . ( الأنعام : ١٩ )

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) ﴾ . ( الفرقان : ٤ - ٦ )

**ولابد لمن يدرس موضوع « الوحى فى القرآن » أن يقف طويلا أمام عدد من الآيات المحكمات يتدبرهن ، ويفكر مخلصا مع نفسه فيما تنطق به ، ولسوف يخرج من ذلك بنتائج محددة تبصره تماما بحقيقة الوحى فى القرآن .**

وتتصدر هذه الآيات ، تلك الدعوة الألهية الصريحة إلى الناس أن يتدبروا القرآن ويعوا آياته ، وعندئذ سيعلمون أنه قول « الحق » الذى لا جهالة فيه ولا اضطراب ولا تناقض ، وأنه مبرأ عن كل ما ينسب لقول البشر من قصور واختلاف :

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ .

( النساء : ٨٢ )

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾ .

( البقرة : ٢١ )

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ . ( البقرة : ٢٣ - ٢٤ )

ومن الواضح أن هذا التحدى القرآنى لا يقتصر على من كذب بالقرآن من الأعراب الذين عاصروا نزوله ، وحاولوا اللغو فيه والإلحاد فى آياته ، إنما هو تحد يلقاه كل من يكفر بالقرآن منذ تنزلت آياته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد أوجز القرآن موضوع التحدى هذا فى كلمات قليلة حين قال :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ . ( الاسراء : ٨٨ )

**ولا يستطيع عاقل يعلم أقل القليل من سيرة الرسول وتواضعه وخلقه ، أو حتى لا يعلم شيئا من ذلك ، ثم يغفل عما يذكره القرآن عن الكذابين من مدعى النبوة والرسالة الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا أن وحى الحق تنزل اليهم -فقد جعل القرآن هؤلاء بحق أظلم الظالمين :**

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾ . ( الأنعام : ٩٣ - ٩٤ )

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ . ( الأعراف ٣٧ - ٣٨ )

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) ﴾ .( هود : ١٨ )

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢) ﴾ . ( هود : ٢١ - ٢٢ )

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) ﴾ . ( يونس : ٥٤ )

وما كان الإنسان ليصل بظلمه غاية مداه فيفترى على الله الكذب ويقول حسبما أملاه عليه هواه ثم يترك مسترسلا فى ضلالاته دون عقاب يصيبه فى الدنيا قبل الآخرة .

ونعلم من القرآن أن محمدًا لوَّ تقول على الله شيئا من عنده ، لجاءه القتل عقابا سريعًا لا راد له من الله :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾ . ( الحاقة : ٤٤ - ٤٧ )

**ونجد توراة موسى تذكر أن الموت العاجل لابد وأن يباغت كل من يدعى كذبا أنه نبى لله يتلقى وحيه ويتكلم زورا باسمه .**

« أما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى . » تثنية ١٨ : ٢٠ »

**وواضح أن الموت هنا يقصد به القتل أو الموت العاجل الذى ينهى حياة مدعى الرسالة، ولا يمكن أن يعنى ذلك الموت الطبيعى الذى ينتظره كل الناس .**

فعندما يقول الله عن مخلوق أنه « يموت » فإن هذا يعنى أنه يقتطع من الأرض بأحد الوسائل التى تعجل بنهايته مثل القتل أو الغرق ونحوه ، لأنها جميعا وسائل تفضى إلى الموت العاجل .

ونعلم ذلك من شواهد كثيرة منها أنه عندما أراد الله هلاك قوم نوح قال له:

« نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض قد امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض . . ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما فى الأرض يموت . .

وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض . . فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض . . كل ما فى أنفه نسمة روح حياة كمن كل ما فى اليابسة مات » .

« تكوين ٦ : ١٣ ، ١٧ / ٧ : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ »

ومن الواضح أن الموت هنا تم عن طريق الغرق الذى لا يعتبر موتا طبيعيا ، كذلك يعنى الموت إحداث الوفاة عن طريق المرض أو القتل ، كما يتبين ذلك من قصة أبيمالك الذى حاول اغتصاب سارة زوجة إبراهيم :

« وقال إبراهيم عن سارة امراته هى أختى . فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل . . فقال يا سيد أمه بارة تقتل . ألم يقل هو لى أنها أختى . .

فقال له الله فى الحلم . . الآن رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلى لأجلك فتحيا . وإن كنت لست تردها فأعلم أنك موتا تموت وأنت وكل من لك . » تكوين ٢٠ : ٢ - ٧ »

وتؤكد أسفار موسى نفس المعنى للموت ، كما ورد فى حكم من يحاول قتل صاحبه:

« إذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت » .

«خروج ٢١ : ١٤ » .

فالمقصود بالموت هنا هو القتل . .

**ويتبين مما جاء ذكره فى كل من الكتاب المقدس والقرآن أن إحدى العلامات التى يعرف بها مدعى النبوة الذى يكذب على الله ، هو أن يقتلع من الأرض قبل أن يتم دعوته ويكون ذلك بالموت قتلا أو نحوه . ولا يمكن أن يعنى هذا أن كل من عجل بنهايته ومات قتيلا من الأنبياء بأنه قد كذب على الله ، ولكن العكس فى رأيى - هو الصحيح وهو أن كل من كذب على الله فقد أقتلع من الأرض قبل الأوان .**

**ومن ناحية أخرى فإننا نجد فى الكتاب المقدس علامة أخرى هامة يعرف بها النبى الصادق صاحب رسالة الحق إلى العالمين ، وهى أن الله يمسك بيده ويحفظه من كل شر حتى يتمم رسالته ويخرج من أرسل إليهم من الظلمات إلى النور :**

« هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب نسمة الساكنين فيها روحا .

**أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم،** لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة ».

« أشعيا ٤٢ : ٥ - ٧ »

ويقول الله لرسوله فى القرآن :

﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ . ( المائدة : ٦٧ )

فهذا وعد صريح للرسول بأنه لن يوجد من يعجل بالقضاء عليه من الناس . وقد أنبأت آيات القرآن بالنصر المؤكد للرسول ودعوته فى الدنيا والآخرة . وما علي الذين رفضوا قبول تلك النبوة جحودا ومكابرة إلا أن يفعلوا بأنفسهم ما يشاءون من شنق وغيره ، لعل فى ذلك ما يطفئ غيظ القلوب المكابرة :

﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)** ﴾ . ( الحج : ١٥ )

﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)** ﴾ . ( التوبة : ٣٢ - ٣٣ )

واستمرت آيات الله تنزل على الرسول حتى اكتملت دعوته وبلغ الأمر غايته ، ونزل قول الله :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .
( المائدة : ٣ )

من كل ما سبق نستطيع القـول بأن ادعاء النبوة والقول زورا بتلقى الوحى من الله إنما هو أمر خطير ، تعجل عقوبته فى الدنيا قبل الآخرة ، فيقطع ذلك الدعى من الأرض قبل أن يتم دعوته .

وخلاصة القول فى موضوع الوحى أن وسائله كثيرة وطرقه متنوعة ، تشابهت جميعها فى اليهودية والمسيحية والإسلام .
ولا يصح لأحد أن يؤمن بها هنا وينكرها هناك ، أو يسلم بصدقها فى كتاب مقدس ثم يجحد امرها فى كتاب سماوى آخر .

فلم يكن الوحى إلى النبى محمد خروجًا عن المألوف الذى تعرض له الأنبياء السابقون فى هذا المجال ، ولا محل - إذن - للتـعجب أو الاستنكار . وإنما العجب حقًـا يتمثل فى موقف الجاحـدين للوحى المحمدى من الكفار أيام الرسول وممن لا يـزال على كفره بالنبى ورسالته من أشياعهم حتى اليوم . وهنا يستنكر « الحق » موقف هؤلاء وهؤلاء الذين جهلوا حالات الوحى وتاريخ النبوات أو تجاهلوها عن عمد فيقول :

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ . ( يونس : ١ - ٢ )

والحق أن الوحى المحمدى استمرار للوحى إلى الأنبياء السابقين ، لا عجب فى حالاته ولا غرابة فى وسائله وكيفياته . وصدق الله إذ يقول لنبيه :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ . ( النساء : ١٦٣ )

إن الوحى تجارب خاصة وحالات غير عادية تعرض لها رجال الله المصطفون الأخيار، واحتملوا شدتها وبأسها ، وبلغوا للناس ما أمروا بتبليغه إليهم ، فكان هديا ونورًا للعالمين.

* * *